

عش رجبا

تر عجا

مشاهدة مؤلة في نيويورك

معرفة على المدينة الحديثة

(بقلم نقولا افندي الحداد)

ما كان يلوح لي وانا في اميركا أم الغنى وينبوع الخير والرزق أن أرى  
ما رأيته في الساعة التاسعة مساءً منتصف الشهر الغابر . وما زلت الى الآن  
اتعجب واتحير من ان الامر الذي رأيته ودهشني انما هو شيء مألوف في  
هذه البلاد

كنت ذاهباً في تلك الساعة الى مخدعي حيث اريح مجموعي العصبي بعد  
جهاده كل النهار في تلقي ضوضاء المدينة وجلبتها وتلاطم الافكار في لجة  
العمل فاذا بي قد استوقفتني أمرٌ زاد اعصابي اضطراباً وامواج افكاري التظاماً .  
فلم اتم مطمئن البال

رأيت رهطاً من الادميين ( نحو ١٥٠ رجلاً ) وقد اندفع في عرض الشارع  
الى شارع آخر مقاطع له . ولا يخفى ان حب الاستطلاع غريزة في البشر .  
فتقدمت الى القوم لارى ما الخبر فاذا هم قد اصطفوا على رصيف الشارع  
متلازين متراصين كأنهم جدار من الابدان البشرية . فمشيت وراءهم ثم امامهم  
فلم أر شيئاً غريباً سوى ان رجلاً التى امام ذلك الصف صندوقاً من الخشب  
كان يتأبطه . فعلمت ان السر منحصر في هذا الرجل فتقدمت وراء الواقفين  
حتى صرت بإزائه فوجدت انه يوزع على اولئك الوقوف شيئاً وقد أصابني  
نصيب منه

تناولت ذلك النصيب فاذا هو قطعة من الخبز بقدر الكفّ — بلا مبالغة —  
 فقلت لمن هو الى جانبي ، ما هذه . قال ، عشاء . وكان يلوك خبزته .  
 فقلت له ، لقد تعشيت . فهل لك فيها ؟ فتناولها في الحال والتمهما  
 وبعد هنيهة انفردت بذلك الرجل وقلت له . ما زلت لا افهم شيئاً  
 مما أرى . فما معني هذا ؟ فضحك وقال لي ، هو لا . مساكين مدقعون  
 لا يملكون شروي تقير ولا عمل لهم يسترزقون منه فيتضوّرون جوعاً . وذلك  
 الرجل يتسوّل من اجلهم بضعة ريالات فيمتاع بها خبزاً ويفرقه عليهم .  
 فقلت ، وماذا تفي هذه البلغة من حاجة المعدة الى الغذاء سوى انها تثير  
 الشهوة وتبيح الجوع .

فقال ، انها خير من طيّ الليل كله على الطوى .  
 فقلت ، أليس عجيباً ان تعدّ بلغة العيش عشاءً يحيي الرمح في اميركا  
 وفي مطاعمها فضلات الخبز تُقري قبائل وفي براريها المترامية الزروع الخصيبة وفي  
 أهراتها عِرم لا تعدّ من الخنطة والحبوب وفي نيويوركها قناطير مقنطرة من  
 الاموال ؟

فقال ، ليست لنا هذه التي تعدّها بل هي لاهل الثراء الذين يتنعمون  
 في قصورهم ويبدخون في انديتهم . واما نحن العمال الذين بنينا لهم تلك القصور  
 واقنا لهم تلك الاندية فلا ناكل خبزنا الا يوم نجد شغلاً نسكب فيه عرقنا .  
 فان وقفت حركة العمل وجب ان تقف حركة حياتنا معاً .

وما زلت ازداد حيرة ودهشة ولا اكاد اصدق ما اسمع وأرى فقلت  
 ، أليس عاراً على اميركا التي تعد اسعد الممالك واهناها شعباً ان يوجد فيها  
 ناس كالعازر يتسقطون الفئات من موائد الاغنياء ؟  
 فضحك قائلاً . اراك يا هذا لا تزال تعتقد اننا نعيش لاننا نتحرك .

لا . لا نعيش . بل نحن موتى لاننا خلو من كل لذة . ولو كان نصيبنا اليوم من العالم كنصيب اليعازر من الغني لكننا في نعمة ونعيم . ولا اعتقدنا ان هناك فئة اخرى تحسدنا عليها . ولكن ألم ترَ ماذا كان عشاءنا في هذا المساء . آمن بالله يا رجل وصدق انني لم اذق طعام القهوة منذ ١٥ يوماً “

فتنهت متألماً ونفختُ نفخ الافرغ والتفت الى ذلك الجمع فرأيت الرجل الذي وزع عليه كسر الخبز قد جعل يصفته في عرض الشارع سبعة سبعة متلاصقة متضامة حتى صار كأنه كتلة جث لا تزال تنفس كأن لها بقية رمق ولا تزال تحيا كأن الموت مغمض عينيه عنها

ثم ركم الرجل على صدوقه وجعل يصلي واولئك الاشباح رفعوا قبعاتهم حتى انتهت الصلاة

ثم وقف الرجل وجعل يتكلم وكان على الرصيف بعض رجال ونساء واقفين يرون ويسمعون وبعض المارة يتوقفون هنيئة ثم يتمشون

وكان فحوى كلام استهلال الرجل ان ، بعض الناس يسمون هؤلاء الرجال اوباشاً . وبعضهم يسمونهم اوغاداً . وبعضهم يقولون ( تنابل ) . فسموهم ما تشاؤون فانهم لا يزالون بشراً واخوة لنا في الانسانية . ومهما يكن سبب بوئسهم فعلياً ان نرد هجمات الجوع عنهم . ليس لهم من حطام هذه الدنيا غير اجسادهم وما عليها من الرداء . فاذا تعطف عليهم المشفقون اكلوا وان احسنتم عليهم الآن امكنهم ان يناموا في مضاجع كسائر البشر

، حاجتنا الى ١٥ سنتاً اجرة مخدع لكل منهم في هذه الليلة فان لم نستطع ان نجتمع حتى منتصف الليل الستات المطلوبة بقي هؤلاء المساكين يتجولون في شوارع المدينة حتى الصباح واسنانهم تصرأ وابدانهم تقشعر برداً كما جرى لهم ليل الاحد الماضي “

واسترسل ذلك الرجل بمثل هذا الكلام وغيره مبيناً ادواء الهيئة الاجتماعية وعلمها حتى مرت نحو ساعة فجعل يرنم واولئك التعسون يشتركون معه . وبعد ترنيم عدة ترنيمات استأنف الخطابة ثانية

وكان في خلال ذلك يتقدم اليه بعض المارة أو الوقوف ويدفعون له ما جادت به انفسهم

وكان في تلك الغضون ايضاً يعبر بعض اكابر القوم في اوتوموبيلاتهم فلا يعبان بما يرون . فكنت . اخاف ان يهيج الغيظ والحق اولئك الجائعين فيهجمون عليهم هجوم الذئاب الحائرة على قطعان الغنم . ولكن انى يفعلون ذلك وهم يقرأون ويطلعون ويعلمون كسائر الانام ان في البلاد شريعة قاسية في معاقبة المتهمجين الغزاة القتلة

وقد علمت ان نيورك وغيرها من المدن الكبرى لا تخلو من مثل هذا المشهد كل ليلة وفي احياء المدينة عدة مشاهد مثله على مدار السنة . ولكن الذي زاد الطين بلة هذه الازمة الحاضرة التي قطعت ارزاق الوف من العمال . فاذا يفعلون ؟ قال ذلك الرجل الذي كان يخطب ان بين هؤلاء الاشقياء رجلاً فقد وظيفة مهمة بسبب هذه الازمة وما كان يخطر له ان يقف هذه الوقفة . ولكنه اضطر ان يقفها فاذا يفعل ؟

يقولون ان في اميركا الوفا من الاغنياء المحسنين الذين يجودون بالالوف والملايين للاعمال الخيرية العمومية . فلماذا اذا لا زلنا نرى مثل هؤلاء المساكين يتوقعون لقمة من العيش عشاءً وينتظرون مرقداً خشناً ولو في آخر الليل . .

يقولون ان اميركا اغني بمالك الارض وان شعبها اهنأ الشعوب واسعدهم فما بالناس قوماً يشتهون الفئات الذرية يقع عن مائدة الاغنياء ومع

ذلك لا ينالونه

يقولون ان المرء في اميركا كيف تحرك يكسب تقوداً . فما الوفاً من  
العمال يتضورون فلا ينالون رغيماً  
يقولون ان اميركا بلاد الشغل والعمل وأي كان فيها يجد مسترزقاً . فما  
بال هؤلاء المتضورين لا يجدون

لم يزل البشر هم اياهم والارض كما يمهدها . فلا قحط ولا محل ولا  
ولا جذب ولا ضربات من الله ولا من ابليس . وما زال الناس ذوي قوى  
للعمل ومعدٍ للآكل واجساد للباس الخ فلماذا تقف حركة العمل حتى  
يتضايق العامل ؟

الجواب عن كل ما تقدم

اولاً ان النظام الحالي جعل الاعمال كلها في يد مسيطرين عليها فاذا  
اقتضت مصلحتهم ان يستوقفوا حركتها اوقفوها . ولا يهمهم الامرا اذا فني جمهور  
العمال او عانوا عذاباً وشقاءً

ثانياً ان في اميركا خبرات كثيرة جداً ولكنها غير موزعة على مستخرجيها  
بحسب استحقاقهم منها بل بحسب المطاعم والتحايل النظامي في توزيعها

وعدم الانصاف في توزيع الثروة في اميركا اكبر مصائبها وهو اسوأ فيها  
منه في كل العالم . وربما كان سبب القضاء عليها في المستقبل القريب او البعيد

ثالثاً ان الاموال التي جاد بها المحسنون من الاغنياء قلما قصد منها ان

تنفق على الاعمال الخيرية لاجل دفع البلاء ورفع الشقاء عن الجنس البشري  
وتخفيف ويلات الفقراء بل قصد فيها بالاكثراقامة معالم الفخر والمجد لذويها

وانما فعل هذا بحجة فعل الخير العمومي

فكرينجي مثلاً ملاء البلاد الاميركية مكاتب كتب عليها اسمه حتى يقال

بعد وفاته — اطال الله بقاءه — انه كان محباً للآداب والعلم وخادماً لها  
ولكننا ما رأينا ان كرنيجي ابنتى مثأت والوفاً من المنازل الصغيرة لكي  
يؤجرها لفقراء البشر بنصف اجرة مثلاً . ولا اقام الفنادق العديدة التي تؤجر  
غرفها بقيم زهيدة للعمال المساكين الذين متى وقفت حركة العمل اضطروا ان  
يناموا متجولين في الشوارع او يتجولوا نائمين . ولا انشأ مطاعم عديدة في  
الاحياء المختلفة لكي يأكل فيها الفقراء المحتاجين بنصف او ربع ثمن عند  
مسيس الحاجة

المدارس والمكاتب الخيرية نافعة جداً ولازمة للبلاد . وهي من أهم اسباب  
رقياها — ليس من ينكر ذلك قط ولا يشبط العزيمة في الجنوح اليه . ولكننا ما  
رأينا فقيراً يدخل الى مكتبة او الى مدرسة لانه قبل ان يغذي عقله يحتاج الى  
ان يغذي جسده . وقبل ان يحتاج الى مكتبة يصرف وقت الفراغ فيها يحتاج  
الى غرفة ينام فيها

تجددون فالشكر لكم . ولكن لا تكونوا مراثين في جودكم ولا تبجحوا فيه  
تقولا الحداد

## صوت صارخ في ربوع الشرق

أسكنه المنون

تذكراً لقاسم بك أمين

« الخطبة الاخيرة التي القاها قبل ثلاثة »

« ايام من وفاته »

في ثلاث سنوات فقدت مصر ثلاثة من افاضل رجالها الذين يضمن الزمان  
منهم . المرحوم الشيخ محمد عبده والرحوم مصطفى باشا كامل والرحوم قاسم